أولاً : البحث

تَداخُلُ اللغَات وأبعَادُهُ الإنسَانيّة

الأستاذ عبد العزيز بن عبد الله

السيمياء Sémantique علم يهتم بدراسة معانى الكلمات وتغيراتها متمما بذلك علم الصوتيات phonétique المختص بالنطقيات وهو علم ظهرت له ابعاد جديدة ، وان كان علماء اللغة العرب قد بسطوا القول فى كثير من مجاليه ــ وخاصة حول ظواهر اللغة كسجلى للتعبير عن خلجات الفكر البشرى وكذلك تطور معانى الكلمات فى اطار منهجية حديثة هى منهجية التزامن synchronisme اى تزامن الكلمة وظواهرها بمعنى بروز هذه الظواهر اللغوية فى زمن ما ضمن تأثيرات الالسن واللهجات وهذا العلم هو ما عرف بالسيمياء التزامنى Sémantique synchronique وقد اطلقنا عليه فى بحث سابق (1) اسم «سيمياء المبانى»

واولياه عناية خاصة نظرا لبعده العميق الهادف الى استجلاء كل ما يتصل فى عصر ما بالرابطة التعبيرية القائمة بين الدال والمدلول كما اطلقنا اسم سيمياء المعانى Sémantique diachronique على العلم الذى يستهدف تمحيص التغيرات الطارئة على مدلول الكلمة ومفهومها اى الكشف عن خاصية الظواهر اللسنية من حيث تطورها الزمنى وقد اصبحت لهذه الدراسات منذ الاربعينات مجالات واسعة نظرا لاتساع شبكة الاهتمامات لدى علماء اللسنيات فلم تعد الدراسة تقتصر على الفاظ معزولة اى منفصلة عن مؤثراتها بل اندرج البحث ضمن مجموعة تتفاعل وتتكامل موصولة الرباط بفنون شتى كالنحو والصرف والاشتقاق واسلوب النحت والرص اللغوى انطلاقا من مؤثرات مختلفة واعتبارا لظواهر اجتماعية تكون التعابير فيها مجرد تعريفات للنسب والصلات وحتى الشياه التى تطبع الظواهر وتبرز السمات الدقيقة بين كلمات خضعت لنفس التأثيرات فى لغة ما مع امكان توسيع نطاق التنظير الى لغات مختلفة وهذا هو ما يمكن ان نسميه « السيمياء المقارن Sémantique comparée حيث يحاول خبراء اللسنيات الانطلاق نحو آفاق اوسع يستشفون فى مجاهلها مواقع الصلة بين لهجات ولغات مختلفة من خلال شبكة انسانية شاملة .

ولا يمكن ان نقرر مدى اهمية هذا العلم بشرط ان لا يقصد به مجرد ابراز تأثير لغة على اخرى

---

(1) مجلة اللسان العربى م . 7 ج 1 ص 5

لاشباع نهم عنصرى او شوفينى · فهو يهدف من خلال دراسة تطور الكلمة الى تتبع هذا التطور فى ابعاده بالنسبة لشعب آخر او مجموعة شعوب للكشف عن ظواهر اجتماعية تفاعلت فى منطقة ما من مناطق العالم·

وقد استعرضنا فى احد ابحاثنا (1) اللغوية بعض جوانب هذا الارتباط بين اللغة العربية وبعض اللهجات او اللغات المشتقة من اللسان اللاتينى وجمعنا مادة خاما يمكن التركيز عليها لدراسة العوامل التى جعلت كلمة بعينها تؤثر تاثيرا خاصا فى لغة شعب ما فى عصر ما مستشفين من وراء ذلك مدى ارتباط بعض الشعوب بعضها ببعض واسباب هذا الارتباط ولسنا نقصد بذلك سوى محاولات واسهامات اولية لا يمكن أن ننتظر منها الشيء الكثير غير أنها قد تفتح — اذا ما تبلورت منهجيتها — آفاقا جديدة وثيقة الصلة بنفسانية الشعوب ·

وسنتخذ اليوم اطارا لدراستنا اللغة الانجليزية التى حاولنا تجميع نماذج من مفرداتها خلال بحث موصول منذ سنوات لنصوص علمية بهذه اللغة .

وسيقتصر بحثنا اليوم على استعراض هذه النماذج مع ذكر مقابلاتها العربية والاشارة الى مختلف معانيها ومجالات الربط بينها تاركين التعمق فى المقارنة والتنظير والاستنتاج الى بحث لاحق :

— كلمة abide معناها ثبت وصمد وتابد

ومعنى abiding ثابت دائم من الابد اى الدهر الطويل غير المحدود المسمى « ابد الآبدين » ·

— كلمة beset ومعناها هاجم واكتنف تحتوى حرفين هما b. s (بس) يفيدان السيطرة والاحتواء بمد اليد وبسطها ويوجد الحرفان فى كلمتين عربيتين هما بسق وبسط يقال بسق الرجل على الناس تطاول عليهم وبسط يده على الناس كناية عن التجرؤ على اذايتهم وقد ورد فى الآية : « لئن بسطت الى يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدى اليك لاقتلك » ·

— كلمة bewilder ومعناها اضل واربك ويمكن مقارنتها بكلمة adirer الفرنسية وكلاهما يمكن تقريبه من كلمة ودر العربية ومعناها فقد وأضل واضاع ·

— كلمة coffin ومعناها التابوت وهى قريبة من كلمة « كفن » وهو ما يلف به الميت ·

— كلمة delve معناها يحفر وينقب وهو كناية عن البحث فى أسفل كما يقال بالعربية دلا الدلو يدلوها دلوا ارسلها فى البئر ودلاها كذلك وادلى الدلو·

— كلمة doom ومعناها الشؤم والموت والهلاك اى كل ما فيه شر وهذا الجذر يشمل كثيرا من الكلمات التى تؤدى هذه المعنى فى اللغتين مثل الضر او الضيم والضنك ، ويمكن مقارنة اللفظ الانجليزى هنا بكلمة ضيم بمعنى الظلم ·

— كلمة fake ومعناها زيف ولفق ويمكن مقارنتها بكلمة افك من الافك وهو الكذب والتزييف ·

ومعناها ايضا الحلقة والفلكة اى الحلقة الدائرة·

— كلمة flog تعنى السياط والجلد وهى شبيهة بلفظة « فلق » ومعناها العود الذى تشد رجلا المجرم اليه فيضرب عليهما « والفلق » اذا اطلقت تنصرف للجلد والسياط وتوجد كلمة انجليزية اخرى هى flick معناها ضرب ضربة سريعة بالسوط ·

— كلمة fetch ومعناها بحث ويمكن تقريبها من « فتش » العربية ·

— مادة flick تستعمل فى وصف حركة الضوء فيقال flicker بمعنى اضطراب وخفقان النور وتفيد ايضا الومضة والبصيص ويقال بالعربى فلق الله الصبح اظهره بكشف الظلام وانفلق الشيء انشق والفلق الصبح والفجر وما انفلق من عمودها فهو كناية عن النور فى اضطرابه على أن مادة « فلك » نفسها بالعربى تعبير الحركة والاضطراب والخفقان فالفلك من كل شيء مستداره وكل مستدير فلكه وموج البحر ما اضطرب من مائه فهاج وماج ·

— كلمة hark تفيد معنى الحركة اما جيئة او ذهابا او مطاردة او اصغاء فكلمة hark-back معناها عودة الى الوراء ·

---

(1) مجلة اللسان العربى م 11 ج 3 ص 228 ·

ـ كلمة gush معناها يسيل ويتدفق ويتفجر وكلمة « جاش » لها نفس المعنى يقال جاشت العين فاضت بالماء وجاش الوادى زخر والنجيع سال وجاشت القدر ارتفع ما فيها وتدفق وجاشت النفس تفجرت حزنا وفزعا ·

ـ كلمة hard معناها صلب قاس عسر والحارد بالعربى الشديد وهو يفيد بالانجليزى الشديد القدرة على الاحتمال وفى العربى المجتمع الخلق الشديد المهيب الذى تحسبه من عزة نفسه غير ذلك ·

ـ كلمة harm معناها الاذى والضرر والحرام كل اذى يحرم اى لا يحل وهذه المادة تفيد المنع او ما يؤدى الى المنع ومنه الحرمان والحرمة ما لا يحل انتهاكه والحريم ما حرم فلم يمس وحريم الرجل ما حماه من الاذى والضرر ومنه تسمية نساء الرجل بالحريم والمحرم ما يحمى من الاذى ومحارم الليل مخاوفه ويقال انه لمحرم عنك اى يحرم اذاه عليك .

ـ كلمة harsh معناها خشن اجش وفى العربى يقال حرش الشيء يحرش حرشا خشن فهو احرش وهى حرشاء والحرش والحرشة الخشونة وحية حرشاء بينة الحرش خشنة الجلد ·

ـ كلمة handsome بمعنى وسيم مليح كبير ضخم وهى قريبة من مهندم بمعنى حسن القد معتدل القامة وسيم الطلعة (وهو من الهندام) ·

ـ كلمة kindle معناها يضرم النار ويوقدها ويوهج النور وتجدر مقارنته بكلمة قنديل بمعنى مصباح·

ـ كلمة lean معناها هزيل ضعيف نحيل اعجف وهو قريب من مفهوم « لين » من الليونة وهى ضد الخشونة ، واللينة الضعف ·

ـ كلمة lore معناها علم ومعرفة ويمكن مقارنتها بكلمة نور العربية وهى كناية عن العلم فى بعض معانيها وقد عرف الامام مالك العلم بانه نور ينقدح فى القلب ويقال بالفرنسية lueur

ـ كلمة mettle ومعناها مثال الشجاعة والعزم حيث يقال to show one's mettle اى اعطى الدليل والقدر والمثال ولا تكون الا فى ابراز

مظاهر الخير كالكرم والفضل والنجدة حيث يقال مثل الرجل مثالة فضل والامثولة المثال الحسن وتماثل العليل قارب البرء وامتثل امره عمل على مثاله واطاعه والماثلة منارة المسرجة والرجل الامثل اى الافضل ويطلق ايضا كما فى الكلمة الانجليزية على الحجة ·

ـ كلمة meeknes تفيد الخضوع والخمول وهى مثل كلمة « مسكنة » على ان مادة « كنس » ايضا تفيد الانزواء والخمول والقبوع يقال كنس الرجل اذا دخل خيمته والكناس بيت فى الشجر يستتر فيه الظبى ·

ـ كلمة neigh بمعنى صهل كناية عن صوت الحصان وقد يبرز الاستعمال احيانا فى بعض اللغات عدم الدقة فى تمثل الاصوات فهى هنا قريبة من «نهق» المخصصة للتعبير عن صوت الحمار ·

ـ كلمة rash معناها رشح وطفح وتفيد مادتها انتشار الماء مثل رش .

ـ كلمة slink ومعناها انسل اى ذهب خفية ·

ـ كلمة shatter معناها كسر وحطم وهى قريبة من شطر ·

ـ كلمة slit ومعناها شق وقطع وقد صلته بالسيف اذا ضربه به وصلت الفرس انقطع عدوه وسيف صلت صقيل قاطع ·

ـ كلمة snare بمعنى احبولة وشرك وهى الصنارة ·

ـ كلمة sway بمعنى تسلط وسطا وسيطر·

ـ كلمة swarth تفيد معنى الدكنة والسمرة والسواد فوجود السين والواو (كما فى السواد) او السين والميم (كما فى swarth وسمرة) يفيد ذلك .

ـ كلمة tread فيها معنى المشى والسوق والطراد مثل طرده وطارده ·

ـ كلمة tie فيها معنى اللى والثنى والطى والعقد ·

ـ كلمـــة wail بمعنى الويل والعويل ·

ـ كلمـــة wane فيها معنى الانهيار والذبول الفناء مثل كلمة faner

ـ كلمـــة wield بمعنى ناول باليد فهى كالكلمة الفـــرنسيـــة aider تحتوى على جذر « اليد » .

تلك نماذج سنحلل بحول الله ابعادها فى بحث لاحق لا تحت شارة تاريخ « السيمياء المقارن » فحسب بل وخاصة فى نطاق تداخل اللغات وابعاده الانسانيـــة ولا أريد أن يفهم من مثل هذه الدراسة نزوع ما نحو ابراز مدى اقتباس هذه اللغة من تلك لان من الصعب ان نوغل فى الاستنتاج حتى فى حالـــة انكشاف بعض مجالى الشبه لو وحدة المنبع او تكامل المنهجيات اللسنية فى مجموعة من المجموعات اللهجوية .

ذلك مجرد اسهام يلقى بعض الضوء على « وحدة اللغات » فى اصالتها الانسانية كحلقـــة فى سلسلـــة دراساتنا فى هذا المجال ·

الأنثى والنجلة والنسناس

الأستاذ عبد الحق فاضل

وما سمى الانسان الا لنسيه
ولا القلب الا انه يتقلب

ذلك ما زعمه الشاعر · وكنت اعتقد منذ الصغر انه لم يكن جادا فى هذا التخريج اللفظى وانه انما قال هذا على سبيل التملح والتندر ، تعبيرا عن تشاؤمه واستخفافه بطبائع بنى جلدته البشر ·

وما كنت احسب أن يمتد بى زمنى حتى اقرا فى اللسان : « **روى عن ابن عباس انه قال : انما سمى الانسان انسانا لانه عهد اليه فنسى** » ! الآن ايضا لا اجدنى اصدق صحة نسبة هذا الكلام المبهم غير المدلل عليه ، الى ابن عباس ·

والمعقول عندى أن يكون اسم (الانسان) متأتيا من (الانس) بالضم ، وهذا من (الانثى) ! . .

على أن ابن منظور يروى كذلك عن الازهرى أن « **اصل الانس** (كالجنس) **والانس** (كالامل) **والانسان: من الايناس وهو الابصار** » · ولكان قارب الحقيقة لولا انه تناولها من معنى الابصار بدلا من معنى الالفة والانجذاب ·

هو يروى كذلك عن الواسطى قوله : « **سمى الانسيون انسيين لانهم يؤنسون اى يرون** (كلاهما بصيغة المجهول) ، **وسمى الجن جنا لانهم يجتنون عن رؤية الناس اى يتوارون** » · وكلامه هذا عن تسمية الجن صحيح ، لكن هذه الصحة زادته يقينا بصواب خطئه فى تسمية الانس الذى يؤيد خطأ الازهرى ·

وما حكاية تأثيله . . الانسان ؟

انه من (الانس) . . وهذا من (الانثى) ، فهمنا · لكن من اين جاءتنا هذه الانثى اللطيفة فاصبحت لنا مصدر الانس والاستئناس والايناس ، بل والانسانية ؟

الانسان . . هذه الكلمة التى تدل عليك انت القارىء ، وعلى انا الكاتب ، لها قصة حقيقية بالسماع·

انها قبل كل شيء منحدرة من (الاس) · وعسى الا يستعجل مستعجل فيظن الامر من السهولة بحيث يلوح للنظر السريع · سيقال ان النون اضيف الى (الاس) بكسر الهمزة ــ فنشأ (الانس) بالكسر ايضا ، وهذه تطورت فصارت (الانسان) ·

فأين الانثى ؟ كلا ، لا يكفى تحويـر اللفظ دون التفات الى المعنى · ان فى المعجـم العربـى عشرات الالوف من الكلمات ينبغى أن تعـرف منهـا الكثير تستحضره فى ذهنك لتتعرف العلاقات القائمـة بينها ، شأن المتقفى (*) يجب أن يستحضر فى خاطره شخصيات الكثيرين من اهل البلد مع صفاتهم وسجاياهم ونزعاتهم وخصائص البيئة التى يضطربون فيهـا ويتعاملـون ويتفاعلون معها ، مع معرفة ما تيسر مـن ماضيهم واحداث حياتهم ·

فاذا نحن تحرينا شخصيات الالفـاظ المتصلـة بموضوعنا ورجعنا القهقرى بحثا عن الماضى ، وجدنا انفسنا قد عدنا الى (الاس) بالفتح والكسر والضم ، واذا بهذا الاس ينجب لنا الكثير من الالفاظ ، احدها (الاسل) زنة العسل : نبات دقيق الاغصان طويلها واحدته اسلة (زنة بصلة) · وقد اتخذوا منه الرماح، ثم اطلقوا اسمه هذا مجازا على الرماح نفسها ، ثم على النبـل .. ثـم على شوك النخـل · وصارت (الاسلة) تعنى ايضا : طرف اللسان ، والذراع ، ثم اطلقت على الطرف المستدق من اى شيء ·

ومن الاسل نجم : العسل والاصل والياصول والوصل (ومنه الفصل) والعنصل (بالضم) ، وما الى ذلك مما لا شأن لنا به هنا · لكننا نكتفى بالقول ان مادة (اس) من الخصب والسخاء بحيث جهزت معجمنا العربى بالكثير من الالفاظ القيمة الخطيرة . ومن كان قد سايرنا فى احاديثنا اللغويـة فى هـذا « اللسان العربى » لا بد انه قد لحظ تكرر عودتنا الى (الاس) فى تأثيل مختلف الكلمات .

لكننا نأخذ من كل ما تقدم ذلك (الاسل) بمعنى شوك النخل الذى شملته التسمية الرمحية لانه طويل يشبه شكله سنان الرمح ، ومنه سنستخرج كـل الالفاظ والمعانى التى ستعرض لنا فى هذا الحديث ·

من الاسل نشأت صيغة السلاء (كالرمـان) وواحدته سلاءة (كرمانة) : شوكة النخل ايضا · ويخيل لنا ان هذه السلاءة هى منشأ فعل سل يسل فلان الشوكة ، اذا نشبت فى جلده فأخرجها .. حتى جاء المعجم ليقول لنا سل المرء شيئا من شيء واستله : انتزعه واخرجه ، وسل سيفا : سحبه من غمده ، وسل الشعرة من العجين : انتزعها برفق ·

وانسل المرء من الزحام (والاصح عندنا : مـن الجمع) انسلالا : انسحب مستخفيا · ويظهر ان هذا (الانسلال) هو منشأ قولهم نسل ينسل (كـذهب يذهب) الشعر والريش نسولا ، وانسـل انسلالا : سقط · والنسال (كالسؤال) : ما سقط من صوف او شعر عند النسل ، ونسل الوالد ولدا : ولده ، ولابد انه يقصد سبب ولادته لان الوالد لا يلد وانما هـى صنعة الوالدة · والتناسل : التوالد .

ونود بهذه المناسبة أن نزجى صيغـة ، بـل صيغتين ، من مادة (ن س ل) بمعنى مستحدث ، هما أولا : (المنسال) نقترح استعماله بمعنـى آلـة التناسل للذكر والانثى كليهما · صحيح ان الفصحى استعملت (الفرج) بالمعنيين لكن هذه الكلمة تخصصت بالمرأة ولم يعد بالامكان استعمالها بهذا المعنى المزدوج دون قرينة مميزة · لكن (المنسال) بصيغـة اسم الآلة لكلا الجنسين يفى بالمرام · وجمعها مناسيل ، مثل مفتاح على مفاتيح ، ومصباح على مصابيح .

الصيغة الثانية التى نقترحها هى : (المنسل) ــ زنة المذهب ــ بمعنى (**الجنس**) الذى يستعمل فى عـدة معـان منهـا مقـابـل (sex) فى مثل قولنا الشؤون الجنسية .. ومنها بمعنى السلالة مقابـل (race) كالجنس الاصفر .. او مقابـل (species) اى النـوع مـن اجنـاس الـحـيـوان او النبات .. او مقابل (kind) فى (mankind) :

(*) زنة المتشفى : الشرطى السرى الـذى يتقفى آثار المجرمين وغيرهم · وكان العرب يطلقون على فن التقفى هذا اسم القيافة ·

الجنس البشرى .. او مقابل kind اطلاقا او sort او genus بمعنى النوع او الصنف من اى شيء .. او مقابل (nationality) اى الجنسية ، ونقترح لها : (الرعوية) .. او مقابل (generic noun) اسم الجنس فى علم التحو ·

فتخفيفا عن كاهل هذه الكلمة المثقلة بأعبائها نقترح (المنسل) .. مثل المذهب الذى كان يعنى اول امره مكان الذهاب اى طريقه ثم صار اسما يعنى العقيدة والنحلة ، وكالمطلب والمأرب والمكسب ، وكلها على صيغة اسم المكان لكنها لم تعد لها صلة بالمكان ولا بالزمان · وعلى هذا نسمى الجنس (منسلا) ، والجنسى (منسليا) ، والشؤون الجنسية (منسليات) .. ويبقى (الجنس) قاصرا فى الاستعمال على (الجنسين) اى (جنس) الرجال و (جنس) النساء ، دونما علاقة بالشؤون التناسلية ، كقولك الجنس اللطيف والجنس الفظيع او الخشن !

اللسان :

· لم اجد فى المعجم ، لكننا كلنا وجدنا فى الكثير من مطالعاتنا قولهم سلوا لسانه : انتزعوه — بشدة طبعا — لا كما يسلون الشعرة برفق من العجين لرقتها اشفاقا عليها من ان تنقطع ، لان المقصود من سل اللسان ما هو الا قطعه · ولا ننس ان الكثير من الاعضاء انما اكتسبت تسمياتها من معنى قطعها او شقها او كسرها (كالذى اوضحناه فى فصل « العنف فى تسمية الاعضاء » — اللسان العربى : العدد 10 — ج 2 — ص 3) ·

وكان سل اللسان فى اول امره يخص الحيوان · ومقصودنا انهم كانوا قد سموا اللسان (نسالا) لانهم كانوا ينسلونه اى يسلونه من فم الذبيحة بعد انضاجها طبخا او شيا ..

على ان اعضاء الانسان المحترم ومنها اللسان لم تسلم من الجائحة · فقد جعلوا يسلون لسانه حيا ، وهو افظع ، عقابا او تعذيبا ، ومثل ذلك انهم كثيرا ما صلموا اذنيه او سملوا عينيه ، ولا بأس علينا ان نلحظ فى طريقنا ، استطرادا ، ان الفاظ الصلم والسمل والنسل مرجعها التأثيلى واحد هو سل يسل سلا ·

والعلاقة بين اللسان والسل سجلها الشاعر العباسى المتحذلق فى كلامه على زهرة البنفسج التى تنبت لها زائدة جانبية كالذؤابة ، ففسر ذلك بقوله :

رغم البنفسج انه كعذاره
حسنا ، فسلوا من قفاه لسانه !

قلنا انهم سموا اللسان (نسالا) اول الامر ، فنحن الآن نطالب القارىء بأن يحاسبنا على ذلك ويطالبنا هو بالدليل ·

اولا راينا انهم قالوا نسل شعر او ريش : بمعنى : سقط · ولقد استعملوا هذا الفعل متعديا ايضا فقالوا نسل شعرا او صوفا : انتفشه واسقطه .. كما استعملوا (النسال) — بالضم — بمعنى ما يسقط من صوف او شعر عند النسل — اى عند انتزاعه ونتفه · فلا عجب اذن انهم استعملوا (النسال) بمعنى اللسان الذى ينسلونه وينتزعونه · وقد بقى من معنى الانتزاع قولهم انصل شيئا من شيء : اخرجه ·

والمسألة هنا ليست مسألة استنتاج وحسب ، فان بعض اللهجات المغربية تسمى اللسان (النسال) فعلا · وقد استغربت حين طرقت اللفظة سمعى اول مرة وحسبتها تحريفا عاميا للفصيح ، كما هو شأن الدارجات احيانا ، لكن التأثيل قادنى الى عكس هذا الظن اى الى الاعتقاد بأن (النسال) هو اثل (اللسان) بالفصحى ، واذا بالفصحى هى المحرفة للكلمة .. العامية !

بعد ان استقرت صيغة (اللسان) وثبتت مبنى ومعنى — صارت تعنى كذلك ، المقالة ، والثناء ، والرسالة .. واللغة ·

وهى بمعنى اللغة تنطق بالشين فى الاكدية (= البابلية القديمة) : لشان ·

ومن معنى اللغة ايضا : لسان ابن منظور ؛ اى معجم « لسان العرب » .. ثم هذا « اللسان العربى » الذى تحت بصرك ·

ثم هم اطلقوا (اللسان) — استعارة — بالاضافة الى ما تقدم — على ما استدق وطال من بعض الاشياء ؛ كلسان النار · حتى النعل اذا استطال صدرها سموه